في فهم الجسد، لامية الشّنفرى نموذجًا

In understanding the body, Lamiya al-Shanfara as a model

د. رضى عبد الله عليبي
أستاذ مساعد، جامعة قفصة

Dr. Alibi Ridha Abdullah
Assistant Professor, University of Gafsa

https://doi.org/10.47798/fom.2025.i05.02

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تسعى هذه الدّراسة إلى محاولة فهم الجسد في لامية الشّنفرى للخروج به من الفهم الضيّق الذي جعله مجرّد كتلة لها وظائفها الفسيولوجية، إلى الفهم العميق من جهة اعتباره علامة محدّدة لهويّة صاحبها، ونسقًا مشكّلا لفهم الذّات لوجودها، ومفصحًا عن نظرتها للحياة فيما هو ذاتيّ أوّلا، وفيما هو قيميّ كونيّ ثانيًا.

ووجدنا المقاربة العرفانيّة المنفتحة على المنهج السيميائي إطارًا إجرائيًّا مناسبًا لمقاربة بحثنا لطريف التّأويلات التي أخذتنا إليها.

ولقد أوقفتنا محاولة الفهم هذه عند جسد أعلن عن حضوره عبر آليات عديدة، بعضها هي منه من جهة النّشأة والتّكوين، وبعضها الآخر نابع من الآخر من جهة المقاصد. فكان جسدًا طرازيّا، عرّف بنفسه بما انتابه من انفعالات كانت وليدة شعوره بنظرة دونيّة أقصته من دائرة الاجتماعيّ، فأنشأ لنفسه ما يشبه العوالم الممكنة اعتبرناها من خواصّه.

الكلمات المفتاحيّة: الجسد مُدرِك ومُدرَك - الجسد الطّرازي - القِيَم والقِيمَة - انفعالات - العوالم الممكنة.

Abstract

This study seeks to understand the body in Al-Shanfara's Lamiyya, moving beyond the narrow understanding that reduces it to a mere mass with physiological functions, to a deeper understanding as a defining marker of its owner's identity, a system that shapes the self's understanding of its existence, and an expression of its view of life - firstly in its subjective aspects, and secondly in its universal, value-based aspects.

We found the mystical approach, open to the semiotic method, to be a suitable procedural framework for our research, given the diverse interpretations it led us to.

This attempt at understanding led us to a body that announced its presence through numerous mechanisms, some of which were inherent to it in terms of origin and formation, and others which stemmed from others in terms of intentions. It was a typical body, defining itself through the emotions that afflicted it, which were born from its feeling of being viewed as inferior and excluded from the social sphere, so it created for itself something resembling possible worlds that we considered to be among its characteristics.

Keywords: The body isbothperceiving and perceived - the topic body - values and value - emotions - possible worlds.

مقدّمة البحث

نسعى في هذه البحث إلى محاولة فهم جسد هذا الصّعلوك[1] بوصفه نصًّا لغويًّا يفصح عن رؤية صاحبه للوجود بأحداثه الاجتماعيّة، وعن تصوّراته الفكريّة، وأحواله النفسيّة في فضاء مكاني وزمانيّ مخصوص. وهذا المقصد الذي نروم بلوغه يقوم أساسًا على تجديد النّظر إلى الجسد ومقاربته بما يعيد إليه الاعتبار، بعدما كان ينظر إليه على أنّه مجرّد كتلة ماديّة لا قيمة لها أمام الرّوح. والجدير بالذّكر ههنا أنّ الاهتمام بالجسد لم يكن حكرًا على العلوم الإنسانية فقط، وإنّما اتّسعت دائرة الاهتمام به، فأضحت صورة الجسد مدار اهتمام الإعلام والفنّ وغيرها من العلوم. ولاشكّ في أنّ تعميق النّظر في الدّرس الأدبي من شأنه أن يفصح عن قيمة موضوع الجسد بوجه عام.

تحدونا رغبة إذن في الوقوف عند جسد واحد من الصّعاليك الذي امتدّت شهرته في الآفاق حتّى نُسبت إحدى قصائده - وهي اللاميّة - إلى العرب من باب التّعميم، إحالة على قيمتها الفنيّة والفكريّة. فلم يكن حديث الشّاعر عن جسده فيما بدا لنا في هذه القصيدة حديثًا عرضيًّا ثانويًّا، وإنّما يكاد يكون موضوعها الرئيسيّ وخالصًا لها من جهة الافتتان به وصفًا، وإطنابًا في الفخر، حتّى غدا هذا الجسد سمة مميّزة للنصّ وللشّاعر معا.

لقد دفعنا هذا الاحتفاء بالجسد إلى تجديد التّعامل مع اللاّمية[2] لمحاولة فهمه من جهة ما يحيل عليه من أبعاد تجاوزت صفته المادّية إلى ما هو لغويّ دالّ. فبدا هذا الجسد في القصيدة إلى الخطاب اللغويّ أقرب، فتارة هو مُخبِر عن ذاته في مناحي عديدة، دائرة على ما هو قيمة بأشكالها المتنوّعة، وتارة أخرى هو مُخبِر عن نظرة صاحبه المتميّزة للوجود، كما

1- عرّف الفيروز آبادي الصّعلوك بالفقير ويقال صعلكه أي أفقره. ينظر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسّسة الرسالة، بيروت لبنان، ط5، 1996، ص 1221. وأضاف صاحب اللّسان تدقيقًا آخر في قوله: صعاليك العرب: ذؤبانها. وكان عروة بن الورد يسمّى: عروة الصّعاليك؛ لأنّه كان يجمع الصّعاليك الفقراء في حظيرة فيرزقهم». ينظر، ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن مكرم). لسان العرب، دار صادر بيروت، ط6، 2008، مج 7، ص 244.ومن حيث الاصطلاح، فاللّفظ يحيل على «الطّريقة والهيئة والموقف». ينظر1998, Encyclopédie de l'islam, LeidenBrill, tom ا ، .,P897×

2- تعدّدت الأبحاث التي اهتمّت بدراسة لامية الشّنفرى، ومنها نشير على سبيل الذّكر لا الحصر إلى دراسة حفني (عبد الحليم). الشّنفرى الصّعلوك حياته ولاميته، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1989. ودراسة، عليبي (رضى عبد الله). شعريّة قصيدة الصّعلكة، دار الماهر للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2018. ودراسة: حمدي (حميد عباس بشير). صور التمرّد في لامية الشّنفرى، دراسة سيميائيّة تحليليّة، المجلّة الليبيّة العالميّة، العدد 60، السّنة 2022. ودراسة، مرسلي (مسعودة). حجاجيّة الخطاب الشّعري، دراسة للامية الشّنفرى، فصل الخطاب، المجلد 3، العدد 4، 2014.

سنرى في القسم الثّاني من هذه الدّراسة الذي خصّصناه للنّظر في ما وسمناه بالجسد مُخبِرًا عن ذاته بغيرها. ورأينا أنّ الاعتماد في دراستنا هذه على المقاربة العرفانيّة والسيميائيّة هو تدبّر نهدف من خلاله إلى بلوغ نتائج طريفة من جهة ملائمة المنهجين لطبيعة البحث.

1- الجسد مُخبِر بذاته عن ذاته:

تكاد بعض المقاربات النقديّة الحديثة (العرفانيّة أو السيميائيّة على سبيل الذّكر) أن تجمع على أنّ الجسد هو نسق تواصليّ، وبناء لغويّ «حامل لرسالة»[1] في ذاته ولذاته. ويُخرج هذا القول الجسد من بُعده الماديّ بما هو كتلة إلى القول بأنّه «جهاز» يؤدّي وظائف عديدة له قوانينه ومنطلقاته.

والمتأمّل في لامية الشّنفرى[2] يقف عند جسد فريد، احتفى به صاحبه احتفاءً خاصًّا؛ إذ أخرجه من حيّز الجسد المؤدّي لمجرّد وظائف ماديّة إلى جسد محمّل بطاقات تعبيريّة تُفصح عن ضروب من الدّلالات نراها عميقة بما تحيل عليه من تصوّرات، ومواقف كرّست نظرة الذّات المتميّزة للوجود. وقولنا بأنّ جسد الشّنفرى مُخبِر بذاته عن ذاته نابع في تقديرنا من تحوّل في الأدوار التي خلعها الشّاعر على جسده. فتحوّل عمل الجسد تبعًا لذلك من عمل القول في القصيدة إلى عمل الفعل في الواقع. ونشأ ضرب من التّماهي بين جسد القصيدة بما هو جسد مُخبر عن قيم الفنّ، وجسد الشّاعر بما هو مُخبر عن نظرة الذّات تجاه نفسها وتجاه الآخر فيما طرحه من أسئلة ذات علاقة بوعي الأنا، وبقدراتها من خلال التحوّل الاجتماعيّ[3]. وظهر جسد الشّنفرى في اللاميّة مُخبِرا بذاته عن ذاته في جوانب عديدة منها:

1- ينظر، الزنّاد (الأزهر). اللّغة والجسد، مركز النّشر الجامعي، تونس 2017، ص 241.

2- شاعر جاهلي من بني الحرث. والشّنفرى اسمه وقيل لقبه وضرب المثل بالعدو به، وقيل أعدى من الشّنفرى. من أخباره أنّ بني سلامان بن مفرّج أسرت رجلا من فهم أحد بني شبابة ففدته بالشّنفرى. وكان الشّنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلاّ أحدهم حتّى نازعته بنت الرّجل الذي كان في حجره... وجدّت واقعة بينهما، فغضب، ولمّا علم بقصّته، قال: أما إنّي لن أدعكم حتّى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني...» للتوسّع في بقيّة القصّة، ينظر، الأصفهاني (أبو الفرج). الأغاني، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ت)، ج21، ص118.

3- ينظر، معلاّ (طلال). جسد، سندباد للنّشر، عمان، ط1، 1999، ص 90.

أ- الإخبار عن قيم الذّات:

لقد نثّ الشّنفرى في لاميته أبياتًا أدّت وظيفة الإخبار عن قيم الذّات. وكان الجسد مركزًا للحديث عنها من خلال ما باح به من قيم تشكّلت باللّغة في القصيدة. فجعل من جسده جسدًا متكلّمًا باللّغة، مفصحًا عن ضروب من القيم التي نعدّها من خواصّ الصّعاليك، وبدت قيمًا متعالية عن السّائد من القيم، مكرّسة لوجود متميّز للذّات في رؤيتها للعالم. ومن بين القيم المخبر عنها بالجسد في القصيدة نذكر:

القيم الأخلاقيّة:

إنّ حركة الجسد في الفضاء ليست إنتاجًا لمشروع ثقافيّ فقط بعبارة بنكراد، بل هي تشكّل مشروعا في ذاته[1]. فقول الشّنفرى: (من الطّويل)

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[2]

يبطن تصوّرا قيميّا لثقافة الذّات المواجهة لثقافة الآخر، والقائمة على الاختلاف. وكان المَعبر إلى اكتشاف ذلك جسد الشّاعر نفسه. فالنّفي في البيتين يقابله إثبات لجملة من الصّفات السلبيّة للآخر، وهو معنى أُكتنه بالخُلف. ففهم الذّات لذاتها لا تظهر لدى الصّعلوك إلاّ عبر الآخر[3]. ونعتقد أنّ هذه الحركة السّائرة عكس السّائد من شأنها أن تُنشئ نصًّا تكون واجهته الرئيسيّة جسد الشّاعر. ولقد اعتبر بنكراد أنّ هذه الحركة تتكوّن من «الأجزاء البسيطة التي تقود إلى ما ينظر إليه كتركيب سلسلة من الإيماءات الدّالة على ممارسة معيّنة»[4]. ونحسب أنّ الشّنفرى قد سعى في قصيدته إلى تحقيق امتداد لجسده خارج نفسه عبر الوعي به في ذاته بوصفه واجهة إلى موضوعات العالم الذي يقيم فيه.

1- ينظر، بنكراد (سعيد). السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سورية ط3، 2012، ص 191.

2- ينظر، الشّنفرى، ديوان الشّنفرى، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1995، ب +8ب 9، ص 59 - 60.

3- اعتبر سارتر أنّ معرفة الإنسان لبدنه لا تتأتّى له إلاّ عن طريق الآخر. إذ يقول: «أليس وجود الآخر شرط وجودي». ينظر، Sartre, l existentialisme est un humanisme, Gallimard ;Folio ;Paris; 2010 p. 67-66.

4- ينظر، بنكراد (سعيد)، المرجع نفسه.

ولقد توسّع الشّاعر احتفاء بالقيم في لاميته. وهيّأ له جسده عمليّة فهم هويّته الأخلاقيّة. فقوله:

وَأَغْـدُو خَمِيصَ البَطْنِ لاَ يَسْتَفِزُّنِي إِلَى الـزَّادِ حِـرْصٌ أَوْ فُـؤَادٌ مُـوَكَّـلُ

وَلَسْتُ بِمِهْيَـافٍ يُعَشِّي سَوَامَـهُ مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَـــا وَهْـيَ بُهَّلُ

وَلَا جُبَّأٍ أَكْهَـــى مُرِبٍّ بِعِرْسِـــهِ يُطَالِعُهَا فِي شَـأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ[1]

يبطن ضربا من الاحتفاء المتواصل بالجسد. فكأنّنا بالذّات «تدرك طبقًا لجسدها»[2] ذاتها بما تفرزه من أفعال أثبتت لنفسها الرّفيع من الخلال، ونفت عنها السيئ. والمتأمّل في بنية الأبيات، يلاحظ قيامها خاصّة على النّفي أسلوبًا، وهو ما أحدث ضربًا من الاسترسال الدّلالي بين هذه الأبيات وما سبقها من قول في مستوى التّركيز على مبدأ القيمة الذي تحدّث عنه الجسد.

إنّ جسد الشّنفرى ومن خلال ما أوردنا من أبيات يعيش ضربًا من «التّناوب المستمرّ بين الإدراك والعمل»[3]، وذلك من جهة إخضاع هذا الجسد للتّجربة العمليّة، وبلورة ذلك الإدراك في برامج تفصح عن نظرة صاحبها للعالم. فأصبح جسد الشّاعر ههنا «نقطة التّصافح مع العالم»[4]. واُعتبر الإدراك «حدثا داخل الجسد»[5] يَعْبُر بصاحبه من حيّز الإدراك إلى المعرفة، وهو ما بدا في مواقف الشّاعر إزاء بعض القيم المطلوبة المرغوبة لديه. وهو ما عبّرنا سابقًا بالقول: إنّ الجسد مُخبِر عن ذاته بذاته، وإنّ الجسد ممتدّ خارج نفسه بما ينتجه من تصوّرات في الأخلاق. فهو جسد قنوع (لايستفزّني إلى الزّاد حرص أو فؤاد موكّل). وهو جسد كريم مع الآخر وخاصّة الحيوان. وهو كذلك جسد جسور شجاع. وليس ممّن يخاف فيقلقل فؤاده، وليس ممن لا يرجى الخير منه.

1- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 16+15+14، ص 31.والمهياف الشّخص التّافه الذي لا يحسن تدبير الأمور. والسّوام: الماشية التي ترعى. ومجدّعة: سيّئة الغذاء. والسقبان: جمع سقب: وهو الذّكر الصّغير من ولد الناقة. وبهّل: جمع باهل، وهي: الناقة دون راع.

2- ينظر، Merleau-Ponty (M), la structure du comportement, Ed, P.U.F. 1949, p 204.

3- ينظر، الأزهر الزّناد، اللّغة والجسد، ص 10.

4- ينظر، المرجع نفسه، ص 11.

5- la structure du comportement, p 205.

لقد أخرج الشّاعر انطلاقًا ممّا ذكرنا جسده من الحيّز المادّي الثّابت المحدود إلى حيّز الفعل المنتج للمعنى، والكاشف عن وجهة نظر صاحبه. ونعتقد أنّ جسد الشّنفرى قد ساهم هنا في إنتاج خطاب منطلقه الذّات الغريبة عن واقعها المادي، وجعل وجهته الآخر الذي يخبره عن ثقافة مغايرة هي من خواصّه. وفي هذا السّياق، أشار بعض النقّاد إلى أنّه لا يمكن لأيّ خطاب أن يدرس خارج الأيدولوجيا وخارج بنية الفعل»[1]. لذلك، نعتقد أنّ الصّعلكة قد مارست ههنا سلطتها على الشّاعر، فكانت أشبه بالوعاء الذي سكب فيه الشّنفرى رؤيته في الأخلاق، إن جاز القول.

قيمة الصّبر:

إنّ اللامية هي حديث الجسد عن نفسه في الاحتفاء بقيمة الصّبر. فالجسد هنا مخبر عن ذاته الصّبورة في مواجهة العالم، وهو بذلك يعلن عن هويّته الثقافيّة في مواجهة الثّقافة السّائدة. فقوله:

أُدِيـمُ مِـطَالَ الـجُـوعِ حَتَّـى أُمِيتَـهُ وَأَضْـرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَـلُ

وَأَسْـتَـفُّ تُـرْبَ الأَرْضِ كَـيْلَا يُـرَى لَهُ عَـلَـيَّ مِـنَ الطَّوْلِ اُمْـرُؤٌ مُتَطَـوِّلُ[2]

يجعل الجسد صاحبه في هيئة الكمال، ويفصح عن نفسه كعلامة ذات أشكال خاصّة به والتي اعتبرناها من خواصّ القيم القائمة على مبدأ الاسترسال مع ما هو أخلاقيّ ذكرناه سابقا. فإذا بالجسد بؤرة لتجلّي القيميّ انطلاقًا من تجميع أجزائه الأخرى المؤثّثة لكينونته. ولقد نهضت كثافة الأفعال الواردة في البيتين بوظيفة إظهار قيمة الصّبر على إماتة الجوع، ورفض الشّاعر فضل غيره عليه. ففهم الجسد إذن كان المعبر إليه دلالة الأفعال المحيلة على فلسفة الصّعلوك في الحياة، وهي فلسفة أثبتت رفيع الخلال لصاحبها (أديم مطال الجوع / أستفّ ترب الأرض)، ونفت عنه الوضيع منها (كيلا يرى له عليّ من الطّول..) وهي ههنا رفض المنّة من الغير رغم الحاجة. لقد بات الجسد في الأبيات المذكورة لغة منتجة لما يشبه نصوصًا في الأخلاق والقيمة.

1- ينظر، حنّون (مبارك). دروس في السيميائيّات، دار توبقال، المغرب، ط1، 1987، ص 42.
2- ينظر، ديوان الشنفرى، ب 22 + 23، ص 62.

ويظهر مبدأ الاسترسال في إقرار فضائل جسد الشّاعر في أبيات أخرى من اللامية في قوله:

وَأَطْـوِي عَلَى الخَمْصِ الحَوَايَا كَمَ انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مَـارِيٍّ تُغَـارُ وَتُفْتَلُ

وَأَغْـدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَـادَاهُ التَّنَـائِفُ أَطْحَـلُ[1]

ونهض التّشبيه هنا بتقريب الصّورة عن الجسد وتقريرها.

لقد أحدث الشّنفرى بالتّشبيه انعطافا في مسالك المعنى، من القول المباشر إلى القول المؤسّس على الجماليّ الذي يرقى إلى المثال المخالف للبنية السّائدة. فإذا بجسد الشّاعر يتوحّد بجسد الآخر ليؤكّد مقولة: إنّ «الجسد كائن في الفضاء وفي الزّمان والعالم»([2]). فعقد الجسد علاقات حميمة أظهرها التّشبيه الأوّل عبر تشبيه حركة الجسد في الفضاء وهو يصارع الجوع بحركة الحبال المتقنة الفتل. وأدّى ما يوسم عرفانيًّا بنظريّة الإسقاط مهمّة إبانة المعنى وتوكيده، وذلك بإسقاط صورة الحبال المفتولة بإحكام على صورة الشّاعر المتحكّم في جوعه تأكيدًا لفعل السّيطرة على نداء الأمعاء الخاوية في صورة تفصح عن ضروب من الدّلالات ذات الصّلة بفلسفة الصّعلوك المرتكزة أساسًا على قيمة الصّبر في مواجهة الجوع. وينهض البيت الآخر بوظيفة توكيد المعنى نفسه عبر المشابهة في تقريب صورة جسد الصّعلوك الزّاهد في قوته بصورة هذا الذّئب الذي اُستدعي في مقام تمثيليّ. فهذه الصّورة المنتشرة في البيتين نعتقد أنّها كانت حاملة لرسالة خفيّة. وكان الهدف من التّشبيهين إصابة المعنى بعبارة النّقد العربي القديم. فالجامع بين الصّورتين القائمتين على التّشبيه هو تمثيل صورة الذّات المتحدّية للجوع باعتماد مصدرين مختلفين لها. وكان المقصد من التّشبيه ظاهرًا في البيت الثّاني خاصّة، إذ جعل المشابهة قائمة على إظهار مبدأ أساسي في حياة الشّنفرى وهو إثبات قيمة الصّبر لديه التي تعدل القيمة نفسها عند هذا الذّئب وقد أصابه الهزال واغبرّ، وذهب لونه وهو يضرب في الصّحراء، صابرًا في البحث عن القوت.

1- ينظر، ديوان الشنفرى، ب 26 + 27، ص 62. الخمص: الجوع. الحوايا: الأمعاء. الخيوطة: الخيوط. مارى: يقال اسم لرجل عرف بصناعة الحبال وفتلها. تغار: يحكم فتلها. وأزلّ: صفة للذّئب القليل اللّحم. تهاداه: تتناقله. التّنائف: جمع تنوفة وهي المفازة. أطحل: لونه بين الغبرة والبياض.

2- ينظر، الأزهر الزنّاد، اللّغة والجسد، ص 7. واعتبر الأزهر الزنّاد أنّ الجسد يمثّل مدخلا في تنظيم العالم والواقع ببعديهما الماديّ الفيزيائي والعرفنيّ الرمزيّ. ينظر، المرجع السّابق، ص 7.

لقد أنشأ هذا التّقارب في نمط الحياة بين الجسدين علاقة مردّها إلى «علاقة الفرد بالفضاء الذي يمنح لحركاته معنى خاصًّا»[1]. وهذا الحضور المتميّز لجسد الشّنفرى ينبع من امتداد جسده في الموجودات، ويبطن رغبة في الخروج من دائرة الذّات الضيّقة لخلق ما نصطلح عليه بالمعادلات الموضوعيّة في الوجود.

لقد باح جسد الشّنفرى عبر اللّغة عن ذاته خارج مضارب القبيلة. وأحدث باعتماد مبدأ المقايسة بين الصّورتين معنى طرازيًّا، أو ما ينعت في البلاغة بتشبيه التّمثيل. فإذا بهذا الجسد ينشئ عالمًا ممكنًا خاصًّا به. ولفهم محتوياته، اشترط على متقبّله فكّ دلالات ذلك الخطاب المبني على التّشبيه لتكتمل عنده معالم النصّ الجامع الذي خطّ فيه الشّاعر معالم تفكيره عبر جسده الذي نعدّه مجالا تكتمل أجزاؤه بالعمل عليه. ونزعم أنّه في اجتماع ما يمكن اعتباره خطاطات عن الجسد، تتأسّس خطاطة كبرى ننعتها بخطاطة القوّة المبنيّة على تأكيد مبدأ القيمة في القصيدة والعالم المحيط بالشّنفرى ككلّ.

ب- الجسد مُخبِر عن الذّات المهيمنة على الفضاء:

يعد الجسد عند الشّنفرى وسيلته بسط الهيمنة على الفضاء عبر الفعل الدّال على حركة التنقّل السّلسة في المكان. فالجسد يؤدّي هنا وظيفة فهم العالم من جهة اعتباره نقطة تصافح بين الشّاعر ومحيطه، ومن جهة إنتاجه لمعان عبر وسائط هي منه، ونعدّها من مكوّناته، من أعضاء مخبرة عن هيمنتها على الفضاء.

ويجد متأمّل القصيدة أنّ الشّاعر قد احتفى بأعضاء جسده احتفاءً ظاهرًا لا ينكر لكونها تمثّل نقطة ارتكاز لوجوده، وآلته النّشطة لتبديد بعض مشاعر غربته المادّية أو النفسيّة. فالجسد ههنا، ومن جهة ما يفصح عنه من آراء صاحبه هو علامة دالّة ضمن نصّ جامع حامل لرؤية صاحبه. فقوله:

وَأَعْـدِلُ مَـنْحُـوضًـا كَـأَنَّ فُـصُـوصَـهُ كعَـابٌ دَحَـاهَـا لاَعِـبٌ فَـهْـيَ مُـثَّـلُ[2]

1- ينظر، مبارك حنّون، السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 200.

2- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 44، ص 67. وأعدل: أتوسّد. والمنحوض: الذي ذهب لحمه. ويعني بالمنحوض ذراعه. ويعني بالتوسّد: أنّه يتّخذ من ذراعه وسادة. فصوصه: مفاصل عظامه أي عظام ذراعه. والكعاب: ما بين الأنبوبين من القصب. دحاها: بسطها وسوّاها وهي الكعوب. ومثّل جمع ماثل وماثلة، أي: منتصبة.

يحمل استرسالاً لمعنى الفخر بالقيمة الجسديّة، وهي قيمة ماديّة تظهر في علاقة المشابهة في البيت بين صورة الجسد النّحيف ودلالة المشبّه به على القوّة والصّلابة الكامنة في ذلك الجسد. ونعتقد أنّ المعنى ههنا يعضد فكرة المعنى الطّرازي السّابق الموصول بالقيمة الأخلاقيّة. وعلى أساس من ذلك، أصبح هذا الجسد بخلاله تلك علامة مُرسَلة إلى الآخر الرّافض له فردًا على هيئته تلك في المجتمع الإنسانيّ. ومضمون الرّسالة هو إظهار المقدرة على فرض الجسد لسلطته على الفضاء بتلك الخلال.

لقد انقدحت في لامية الشّنفرى شعريّة خاصّة بالجسد كانت على وشيجة قويّة لما ذكرنا في البيت السّابق. فإذا بالجسد فاعل في العالم وفي القصيدة كذلك. ويظهر ذلك من خلال كثرة الأفعال المصدّرة للأبيات. لذلك، تحوّل «الفعل الدّال على حركة التنقّل في المكان إلى أداة نحويّة معبّرة عن هذا الاستقبال الجاري على الحدث الرّئيسيّ في الجملة»[1]. فالفعل دالّ على الحركة. وكان الجسد مصدرها أفصح عنها باللّغة. فإذا به جسد متكلّم باللّغة، ومحدّث الآخر بلغته الخاصّة. وبدت حركة الجسد في القصيدة ظاهرة عبر ما يسميّها الأزهر الزّنّاد بإنحاء الجسد[2].

وفي العموم، كانت هذه الحركة سائرة في مسارين فضائيين اثنين: إمّا إلى الأعلى، أو إلى الأمام لمّا يتعلّق الأمر بالمكان المنبسط كقوله:

وَخَـرْقٍ كَـظَهْـرِ التُّـرْسِ قَـفْـرٍ قَطَعْتُهُ بِعَـامِـلَـتَـيْـنِ ظَـهْـرُهُ لَـيْـسَ يُـعْـمَـلُ[3]

واستعمل الشّنفرى مُحدّثًا عن الاتّجاه جزءًا من جسده وهما العاملتان اللّتان تعدّان من الأجزاء المهمّة عنده لبسط الهيمنة على الفضاء من جهة ما تبطنانه من طاقة ذاتيّة ضروريّة، تظهران مقدرة عالية كنّا قد تحدّثنا عنها. ونحسب أنّ الجزء ههنا مُخبر عن الكلّ استباقًا. ففي اجتماع تلك الأجزاء يتشكّل الجزء في كليّته، وتكتمل دائرة الهيمنة. ونستدلّ على ذلك بقوله مواصلا احتفاءه بالعضو نفسه المحقّق للاتّجاه أمام:

إِذَا الأَمْـعَـزُ الـصَّـوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تَـطَـايَـرَ مِـنْـهُ قَـادِحٌ وَمُـفَـلَّـلُ[4]

1- ينظر، الزنّاد (الأزهر)، اللّغة والجسد، ص 112.
2- ينظر، المرجع نفسه، ص 112.
3- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 66، ص72.والخرق: الأرض الواسعة. كظهر التّرس يعني مستوية ليست بها حياة. ويعني بظهره الخرق.
4- ينظر ديوان الشّنفرى، ب 21، ص 62. والمقصود بالأمعز المكان الصّلب. والصّوان الحجارة الملساء. والمنسم خفّ البعير. والقادح الذي تخرج من قدحه النّار. والمفلّل المتكسّر.

إنّ فهم الجسد ومقاصده في هذا البيت يتمّ عبر تقنية التّبئير المعتمدة من قبل الشّاعر. والمقصود بالتّبئير: هو التّركيز على جزء من الجسد المحقّق لمعنى طرازيّ وهو إظهار القوّة في الرِّجْلين. ولرسم مسار حركة الجسد في الفضاء الذي يبدو من خلال البيت فضاءً صعبًا وعرًا، عدَل الشّاعر عن اللّغة الخطيّة إلى ما يسميّها توفيق قريرة «العدول بالتّصدير»[1]. فتوسّل بالتّشبيه أسلوبًا لإظهار فكرة التّناسب بين القوّة والصّفة عبر استحضار ميدان آخر مجاله الحيوان. إذ أنّ فَرْض الهيمنة على الفضاء يقتضي جسدًا طرازيّا يمكّن صاحبه من قيمة الهيمنة في كلّيتها، فتكتمل خطاطة القوّة التي سعى إليها الشّاعر عبر جسده.

لقد باح الجسد ههنا بلغته، وفرض على متقبّلها معرفة خاصّة لفكّ رموزها عبر التنقّل من الجزء إلى الجزء الآخر عند قراءة الأبيات، حتّى يدرك أنّ العضو من الجسد مرتبط بنسق معيّن، ورؤية مغايرة عن السّائد في حالة الحركة خاصّة[2] وهو ما قصدناه بأنّ الجسد مخبر عن ذاته بذاته عبر خطاب مكمنه القصيدة.

لقد توسّع الشّاعر في توظيف آلية التّبئير أو ما ينعت بالتصوّر المُؤمْثل بما هو تبئير «المتكلّم في كلّ مرّة لجانب من الجوانب المتعلّقة بالرّبط» بعبارة شارول[3]. فيعمد في البيت اللاّحق إلى رسم صورة لجزء من جسده وهو الوجه، والمحقّق هو الآخر لقيمة الهيمنة على الفضاء(أمام)، والمؤكّد في ذات الوقت مركزيّة هذا الجزء المحقّق لتصافح الصّعلوك مع محيطه الخارجي، وهو كذلك نقطة مراقبة مهمّة مساعدة على توجيه بقيّة أجزاء الجسم قصد امتلاك الفضاء، إضافة إلى كونه مركز تحقيق الرّغبة للجسد ككلّ من خلال إدراك الفضاء وتوجيه الجسد. فقوله:

وَيَـوْمٍ مِـنَ الشِّـعْـرَى يَـذُوبُ لُعَابُهُ أَفَـاعِـيـهِ فِي رَمْـضَـائِـهِ تَـتَـمَـلْـمَـلُ

1- ينظر، قريرة (توفيق). الشعريّة العرفانيّة، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، كليّة الآداب القيروان، تونس، ط1، 2015، ص 285. واعتبر توفيق قريرة أنّ الغاية من هذا الإجراء ليس بالضرورة تفسير الصّورة الأولى بقدر ما يهدف إلى توسعة الصّورة بإضافة عناصر أخرى. واعتبر قريرة كذلك أنّ المقصد الآخر هو في تقريب الخصوصي باستخدام مشهد عمومي اعتبره ملكًا للذّاكرة العامّ. للتوسّع، ينظر، المرجع السّابق، ص 285 وما بعدها.

2- ينظر، Baudrillard (Jean), le systèmes des objets, Ed, Gallimard, Paris, 1968, p 89.

3- ينظر، صولة (عبد اللّه). الاسترسال في الظّاهرة اللغويّة، ضمن ندوة قسم العربيّة، جامعة سوسة، تونس، 2002، ص 64. وتسمح فرضيّة التّبئير بوصف أو شرح جزء من العنصر المستهدف من الجسم عبر تسليط الضّوء على جانب أو جوانب معيّة مقابل إخفاء أخرى. واعتبر توفيق قريرة أنّ هذا الإجراء عرفانيّا هو الذي يصنع الفرق بين الاستعارات البديلة للميدان الهدف نفسه. للتّوسّع، انظر، توفيق قريرة، الشعريّة العرفانيّة، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، ص 189.

نَصَبْتُ لَـهُ وَجْهِي وَلاَ كِنَّ دُونَــهُ وَلَا سِتْرَ إِلاَّ الأَتْحَمِّيُ المُرَعْبَلُ[1]

يجعلنا ندرك أنّ الجسد هنا «كلٌّ وأجزاء في الوقت نفسه»[2] فلا انفصال بين الجزء والجزء ماداما يشتركان في وحدة الغرض. وعلى أساس من ذلك، لا يغدو جسد الصّعلوك مجرّد وجود للفضاء، وإنّما «هو الفضاء ذاته» بعبارة ميرلوبنتي[3]. أو ليست تلك رغبة هذا الجسد الغريب عن المجتمع الإنساني. فكانت السّيطرة على الفضاء الطبيعيّ الموحش بديلا ضروريًّا من القبيلة.

وتسمح آلية التّبئير كذلك في البيت الثّاني بإخراج الوجه من بعده المادي إلى اعتباره علامة مميّزة للصّعاليك من جهة ما أُسند إليه من أفعال وصفات، نعتقد أنّها من خواصّهم هي الأخرى. فالفعل (نصبت) مضاف إلى تركيب الحصر في عجز البيت يُجلي معنى طرازيّا هو معنى المقدرة على تحمّل صعوبة الفضاء الزّماني. فليس تعسّف ذاك الوقت الذي يوصف بالصّعب غاية يدركها الجميع، وإنّما ينفرد جسد الشّنفرى بصفة القدرة على ذلك مادام يمتلك قدرات حسّية وحركيّة مخصوصة. فالجسد إذن يكتسب «معنى جامعًا في إنشاء جماليّة النصّ»[4] من جهة ما يبوح به من أنشطة في الفضاء الذي خبره، فامتلكه.

وتظهر معرفة الجسد بالفضاء من خلال الوصف الدّقيق له (يوم الشّعرى) ومن خلال المجيء ذكرا على الحيوان ساكن ذلك الفضاء (أفاعيه) وما رافق ذلك التّدقيق من وصف لها (تتململ). ويعتبر هذا الوصف من حسن اختيار المقدّمات، عمد إليه الشّاعر لإخراج الجزء من ذلك الجسد مخرجًا طرازيًّا من جهة إظهاره - كما أشرنا - مقتدرًا على إنجاز الفعل على صعوبة الفضاء. ويكون الوجه بذلك علامة مميّزة أخبرت عن صاحبها. فإذا بعمل الجسد هنا ينعت بعمل القول لأنّ «جسد اللّغة من عمل الجسد»[5] بعبارة الأزهر الزنّاد.

1- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 62 + 63، ص71. والشّعرى كوكب يرمز به إلى أيّام الصيف الحارّة. ونصبت له وجهي بمعنى قاومته. ويقصد بالكنّ السّتر. والأتحميّ نوع من الملابس. والمرعبل الممزّق ويقصد به الثّوب الذي يلبسه.

2- ينظر، حنّون مبارك، السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 191.

3- Merleau-Ponty (Maurice), Phénoménologie de la perception, Ed, Gallimard, 1945, p 173.

4- ينظر، le dictionnaire du littérature, P.U.F, P 122.

5- ينظر، الأزهر الزنّاد، اللّغة والجسد، ص 241. والمقصود بجسد اللّغة من عمل الجسد هو أنّ اللّغة لا تتحقّق إلاّ بعمل النّطق تصويتا وتقطيعا وهو بذلك نشاط فيزيائي عضليّ عضويّ تأتيه الأعضاء أو المكوّنات التي تمثّل في اجتماعها جهاز النّطة والتّصويت. ينظر، المرجع السّابق، ص 241.

2- الجسد مُخْبِر عن ذاته بغيرها:

لقد وقفنا في الورقات الأولى عند جسد مخبر عن ذاته بذاته انطلاقًا ممّا ذكرنا من أمثلة في الأخلاق والقيم خاصّة، وانتهينا إلى أنّ جسد الغريب في لامية الشّنفرى كان نصّا حمّالا لرؤية صاحبه حول بعض المسائل الكونيّة، أبدى فيها الشّاعر تصوّرا انطلاقًا من تجربة الجسد في الكون. فبدا جسدًا حاملاً لمشروع في الأخلاق إن جاز القول، تهيّأ له ذلك عبر نقد خفيّ لمؤسّسة القبيلة القائمة آنذاك، والرّافضة له كيانًا له خصوصيّاته. ونزعم أنّ الجسد فيما يتلو من أبيات في اللاّمية لم يقف عند إبانة ذاته عبر ذاته، وإنّما جعل نفسه مُخبَرًا عنها بغيرها. والعلامات الدّالة على الذّات عديدة في القصيدة اقتصرنا فيها على مثالين اثنين فقط: وهما الحيوان والسّلاح. وانصرفنا عن بقيّة العلامات التي تناولناها في غير هذا الموضع[1].

عالم الحيوان:

للحيوان حضور لافت في لامية الشّنفرى. واستدعاؤه كان في مواضع عديدة سواء أكان في سياق مشابهة كما رأينا عند الحديث عن قيمة الصّبر على سبيل الذّكر، أم كان في مقام طرح الشّاعر لرؤيته الفكريّة البديلة من الصّحب من بني جنسه. ألم نقل سابقا إنّ الجسد في تنقّله في الفضاء يخلق ضربًا من الانزياح الذي اعتبرناه من خواصّ الصّعاليك. فلا غرو إذن أن يعقد جسد الشّنفرى ههنا علاقات قد توصف بالغرابة، بل بالشّذوذ من جهة المتحدّث عنهم في الشّعر وهم من غير الإنساني. فقوله:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ[2]

فيه إخبار للجسد عن ذاته وقد تشكّلت تشكّلا جديدًا عبر الآخر وهو هنا طائفة من حيوان الصّحراء ذي السّمات الفريدة عن غيرها من الحيوان. ونعتقد أنّ الشّاعر في هذا البيت قد عمد إلى ضرب من الاصطفاء للآخر المكمّل لصورة جسده. فهذا الثنائيّ الوارد ذكرا في البيت من الحيوان: سيد وعرفاء، يعدّان من الحيوانات الأكثر تبدّيًّا وتوحّشًا في المكان

1- ينظر، عليبي (رضى عبد الله). العوالم الممكنة في شعر الصّعلكة، مقاربة كوسمولوجيّة، مجلّة رؤى، مخبر تحليل الخطاب سوق أهراس، الجزائر، العدد التّاسع، فيفري 2019. وأشرنا في هذا المقال إلى العلامات الأخرى الواردة في شعر الصّعاليك والتي نعتبرها من خواصّهم بوجه عام، وخاصّة حديثهم عن مصاحبتهم للكائنات الأسطوريّة ممثّلة في الغول والسّعلاة.

2- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 5، ص 59. والسّيد الذّئب. والعملّس: القويّ السّريع. والأرقط: النّمر. والزّهلول: الأملس. والجيأل: الضّبع. وعرفاء: طويلة العنق.

مقارنة ببقيّة الحيوانات. فانتقى الشّاعر من السّيد القويّ السّريع عبر الصّفة عملّس، وما كان فيه سواد وبياض في صفة أرقط، والخفيف في زهلول. ومن الضّبع، تخيّر ما كان طويلا منه.

يتنزّل هذا الاختيار ضمن رسم صورة للذّات مختلفة عن عالم البشر في الصّحبة. ولقد علّل الشّاعر دواعي اختيار هذه الحيوانات تعليلا عقليّا قائمًا على التّجربة بالقول:

هُـمُ الأَهْـلُ لاَ مُسْـتَـوْدَعُ السِّـرِّ ذَائِـعٌ لَـدَيْـهِـمْ وَلَا الجَـانِي بِمَا جَـرَّ يُـخْـذَلُ[1]

تبدو الخلفيّة الاجتماعيّة محرّكا أساسيًّا لهذا الاختيار، أو ما ينعته فان ديك بالبنية الكبرى[2]، إذ تدخّلت في هذا العالم البديل أو ما نعتناه بالمعادل الموضوعيّ ما اصطلح عليه محمد الصّالح البوعمراني في ثنائيّة «الواقع والرّغبة»[3]. بمعنى ما هو كائن من أمر الشّنفرى غريبًا طريدًا، وما هو مرغوب ومأمول فيه من العيش كهيئة الإنسان في عالمه البديل، فهي «انعكاس بالضّرورة للمرجعيّات الفكريّة والمعرفيّة للصعلوك»[4]. وإذا ما كانت الأبيات المذكورة سابقًا قد شكّلت صورة جزئيّة للجسد السّاعي إلى رسم خطاطة قوّته عبر استدعاء الآخر وقد تُخُيّر ممّا يتيحه العالم من بدائل، فإذا كان ذلك كذلك، فإنّ الجسد ومن خلال قول صاحبه:

تَـرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَـوْلِي كَأَنَّهَا عَـذَارَى عَلَيْهِنَّ المُـــلاَءُ المُذَيَّـــلُ

وَيَـرْكُـدْنَ بِالآصَـــالِ حَـوْلِي كَأَنَّنِـي مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أَعْقَلُ[5]

يحدث انعطافة في رسم ذاته، من خطاطة القوّة عبر الفخر بالصّحب الجدد من عالم الحيوان المتوحّش، إلى إظهار الجسد في وضع يوحي بالأمن في مشهد مكمّل لمشهد الصّحب البديل من عالم الإنسان مع الظباء. فالآخر بما يحمله من صفات الأنوثة، يخرج

1- ينظر، المصدر نفسه، ب 6، ص 59.

2- ينظر، البوعمراني (محمد الصالح). البنية، المعنى، الإيدولوجيا، البنى الصّغرى والكبرى والعليا في أدب جبران (مقاربة عرفانيّة)، مجلّة خطاب، الجزائر، العدد20، 2015، ص 50 وما بعدها.

3- ينظر، المرجع السّابق، ص 50.

4- ينظر، الحلواني (عامر). المنوال العرفاني والرّهان العرفاني، الاستعارة التصوريّة في أشعار الهذليين نموذجا، طبعة التّسفير الفنّي، صفاقس، تونس، ط1، 2009، ص 107.

5- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 68 + 69، ص 72. أراوي: جمع أروية وهي أنثى الوعل. ويركدن: يثبتن. ويقصد بالعصم الوعل الذي في ذراعيه بياض. والأدفى: الوعل الذي طال قرنه. ينتحي: يقصد. الكيح: جانب الجبل.الأعقل: الممتنع الذي يصعب بلوغه.

بالشّاعر من مجال الحديث عن القوّة إلى الحديث عن السّلم المرغوب فيه. ولقد أشرنا سابقًا إلى أنّ الجسد وهو يعلن عن رغباته، يعلن في الآن نفسه عن أشكاله. فتارة يتخيّر شكل القوّة، وتارة أخرى شكل اللّين والهدوء كما هو الأمر في ما ذكرنا من أبيات لها علاقة بالجانب النفسيّ لصاحبها. ولقد أشار روجيه دادون إلى أنّ الرّغبة مكمنها الحالة النفسيّة الديناميّة، وهي هذه الحركة أو الحادثة الداخليّة، هذه الكثافة الشعوريّة المشحونة بالصّورة والأشكال والمشاريع»[1].

لقد كان التّشبيه المعبَر لفهم الجسد في البيتين، وكان التّشبيه مؤدّيا لوظيفة تقريب الصّورة وبيانها للمتقبّل. ونعتقد أنّ الشّنفرى في التّشبيهين رسم صورة لجسد في علاقة حميمة بالطّبيعة التي أصبح جزءًا منها، متماهيًا مع مكوّناتها من الحيوان في مشهد هو إلى الاحتفاليّة أقرب. ولقد تخيّر لأجل ذلك مكانًا قصيًّا وعصيًّا على غيره لبلوغه في لفظ(الكيح). وجعل من الحيوان عناصر تؤثّث المشهد المكرّس لمبدأ القيمة في الهيمنة على الفضاء. أمّا المظهر الثّاني المخبر عن جسد الصّعلوك فيتجلّى في:

السّلاح:

للحديث عن السّلاح منزلة رفيعة في شعر الصّعاليك، فوصفه له هو وصف المفتون به. ولا تندّ لامية الشّنفرى عن هذا المسار في الإشارة إليه. ولقد جرى الحديث ههنا على ضربين من الأسلحة عرف بهما الشّاعر، وهما القوس والسّيف. وقد نجد في الافتتان بهذين السّلاحين تعليلا. فالقوس والسّيف مطلوبان لكونهما من الأسلحة خفيفة الحمل في الغارات، أو عند مواجهة العدوّ. فالخفّة هنا مطلوبة حتّى لا تعيق حركة الصّعلوك في الفضاء[2]. وقول الشّاعر متحدّثًا عن السّلاحين:

1- ينظر، دادون (روجيه). الرّغبة والجسد، ترجمة محمد اسليم، مجلّة علامات، العدد 4، 1995، ص 71.

2- للتوسّع، ينظر، عليبي (رضى عبد الله). الغربة والحنين في الشّعر العربي إلى نهاية القرن الأوّل الهجري، دار ميّارة للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2019، ص 209. لم يكن الشّعراء الصّعاليك مفتونين بهذه الآلات الحربيّة التي رتقت إلى مرتبة الرّمز، وإنّما عرف شعراء هذيل أيضا بالإطناب في الحديث عن أسلحتهم. ولقد أرجع بعض الباحثين هذه الظّاهرة الفنيّة إلى «ظواهر اجتماعيّة خاصّة في حياتهم. فقد كان الشّنفرى كما يصوّره الرّواة مفتونا بسهامه حريصًا على أن تكون معلمة يعرفها النّاس. فكان يميّزها بعلامة خاصّة حتّى تعرف». للتوسّع، انظر، عطوان (حسن).الشّعراء الصّعاليك في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، 1987، ص 161. بينما عرف الهذليين بدقّة رميهم من بين خصال ثلاثة حدّدها الأصمعيّ في قوله «إذا فاتك الهذليّ أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا فلا خير فيه». انظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج21، ص 138.

ثَلاثَـةُ أَصْحَـــــابٍ: فُـؤَادٌ مُشَيَّعٌ وَأَبْيَـضُ إِصْلِيـتٌ وَصَـفْـرَاءُ عَيْـطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُهَـا رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ[1]

يؤكّد ما كنّا أشرنا إليه من احتفائه بسلاحه، إذ ذهب صاحب الأغاني إلى القول بأنّ الشّنفرى «كان مفتونًا بسهامه، حريصًا على أن تكون معلمة يعرفها النّاس، فكان يميّزها بعلامة خاصّة حتّى تعرف»[2]. وتوسّع الشّاعر في أبياته في وصف القوس، فحدّد شجرة صنعها(الصّفراء) وذكر طولها(العيطل)، فإذا بها قوس طويلة العنق دقيقة، تحقّق لصاحبها دقّة إصابة الهدف.

لم تكن إشارات الشّاعر إلى السّلاح عرضًا في القصيدة، وإنّما هي داخلة ضمن «مشروعه» العام الذي لهج به منذ الأبيات الأولى. فالاحتفاء بالجسد من جهة رسم خطاطة القوّة له يستدعي تخيّر العناصر الملائمة لذلك. ويعدّ السّلاح هنا من الأسلحة الطرازيّة المحقّقة لمبدأ التّناسب بين الذّات والموضوع، أو بين الحامل والمحمول. فالقوس أو السّيف علامتان حدّدتا إدراك الشّاعر الواعي للأشياء. وتهيّأ له ذلك عبر الرّبط بين عناصر أربعة هي «السّمات الوصفيّة، والسّمات الإشاريّة، والجهة والصّورة»[3]، لذلك نفهم أنّ تخيّر الشّاعر للموصوف الأوّل والثّاني تخيّرا طرازيّا قد حقّق له ضربًا من الامتلاء النّفسيّ. وقد نعلّل هذا الاختيار بكونه مكمّلا لصورة الذّات المقتدرة، والمخبرة عن ذاتها بغيرها عبر السّلاح.

1- ينظر، ديوان الشّنفرى، ب 12+11، ص 60.
2- ينظر، الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، ج21، ص 142.
3- ينظر، Jackendoff (R), Foundation of language, Brain Meaning, grammar, Evolution, Oxford University, press 2002, p309.

خاتمة البحث

لقد كانت لامية الشّنفرى في ما نرى مناسبة لفهم الجسد فهمًا أظهره نصّا له لغته ونسقه في التّفكير عبر برامج ومشاريع عديدة. وأوقفتنا الدّراسة على جسد أشبه بخزّان للدّلالات، تهيّأت له من جهة احتكاكه بالفضاء الذي يسكنه بمختلف مكوّناته، ليست الإنسانيّة والحيوانيّة فقط، بل والأسطوريّة والغيبيّة[1] كذلك إذا ما أرادنا التوسّع في دراسة كلّ الموجودات في القصيدة.

ولقد اعتمد الجسد في الحديث عن نفسه طريقتين: كان في الأولى مخبرا عن ذاته بذاته من خلال جملة من القيم المعبّرة عن مبدأ القيمة بصفة عامّة، بينما كان في الثّانية مخبرًا عن ذاته بغيرها. وكان الهدف من تنويعات الاحتفاء بالجسد في فضاء القصيدة الإخبار عن ذاته خارج النصّ من جهة تأكيد تلك الخلال في العالم المرجعيّ.

ونشير ختامًا إلى أنّ فهم الجسد في اللاّمية كان مُهمًّا في تقديرنا من جهة إدراكنا أنّ الجسد ما عاد مجرّد تضاريس أو كتلة ماديّة جامدة، وإنّما بات في المقاربات الحديثة واجهة مولّدة لدلالات متكثّفة يتداخل فيها الثّقافي والنّفسي في ما يشكّل كونيّة ذلك الجسد، ويصنع هويّته ونسقه الخاصّ به. ونزعم أنّ إدراك الشّاعر لجسده وإخراجه على صوره تلك إلى العالم الخارجي كان وليد الوعي به جسدًا فريدًا عن الأجساد الأخرى، والإحساس النّابع من انفعال دائم رافق الشّنفرى الغريب عن ذلك العالم نفسه ما جعله ينطوي على جسده، ويتعهّده في ما يشبه الباحث عن جسد كامل في واقع يشكو خللا بالنّسبة إليه.

1- ينظر، بحثا «العوالم المُمكنة في شعر الصّعلكة، مقاربة كوسمولوجيّة» حيث أشرنا إلى العوالم الممكنة التي أسّسها الصّعاليك بديلا من العالم المرجعي المعيش. ومن العوالم الممكنة ذكرنا: العالم الغيبيّ، والعالم الشّبقي، إضافة إلى عالم الحيوان، والعالم الذّاتي. للتّوسّع، ينظر، دراستنا المذكورة سابقا، مجلّة رؤى، مخبر تحليل الخطاب سوق أهراس من الصّفحات 50 إلى 53.

المصادر

- الأصفهاني (أبو الفرج). كتاب الأغاني، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د ت).
- ديوان الشّنفرى، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1991.

المراجع العربيّة:

- بنكراد (سعيد). السيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سوريّة، ط3، 2012.
- البوعمراني (محمد الصّالح). البنية، المعنى، الايديولوجيا، البنى الصّغرى والكبرى والعليا في أدب جبران (مقاربة عرفانيّة)، مجلّة خطاب، العدد20، 2015.
- الحلواني (عامر). المنوال العرفاني والرّهان العرفاني، الاستعارة التصوريّة في أشعار الهذليين نموذج، طبعة التّسفير الفنّي، صفاقس، تونس، ط1، 2009.
- حنّون (مبارك). دروس في السيميائيّات، دار توبقال، المغرب، ط1، 1987.
- دادون (روجيه). الرّغبة والجسد، ترجمة محمد اسليم، مجلّة علامات، العدد4، 1995.
- الزّناد (الأزهر). اللّغة والجسد، مركز النّشر الجامعي، تونس، ط1، 2017.
- صولة (عبد الله). الاسترسال في الظّاهرة اللغويّة، ضمن ندوة قسم العربيّة، جامعة سوسة، تونس، 2002.
- عطوان(حسن). الشّعراء الصّعاليك في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، 1987.
- عليبي (رضى عبد الله). العوالم الممكنة في شعر الصّعلكة، مقاربة كوسمولوجيّة، مجلّة رؤى، مخبر تحليل الخطاب سوق أهراس بالجزائر، الجزائر، العدد التّاسع، 2019.
- عليبي (رضى عبد الله). الغربة والحنين في الشّعر العربي إلى نهاية القرن الأوّل الهجري، دار ميّارة للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2019.
- قريرة (توفيق). الشعريّة العرفانيّة، مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، كليّة الآداب القيروان، تونس، ط1، 2015.

- معلاّ (طلال). جسد، سندباد للنّشر، عمان، ط1، 1999.

المعاجم:

- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ط5، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1996.

المراجع الأجنبيّة:

- Baudrillard (Jean), le systèmes des objets, Ed Gallimard, Paris, 1968.
- le dictionnaire du littérature, P.U.F .
- Merleau-Ponty (Maurice), Phénoménologie de la perception, Ed, Gallimard, 1945.
- Merleau-Ponty (M), la structure du comportement, Ed, P.U.F. 1949
- Jackendoff (R), Foundation of language, Brain Meaning grammar, Evolution, oxford University, Press, 2002.
- Sartre (J.P), l'existentialisme est un humanisme, Gallimard, Folio, Paris, 2010.

المصادر:

- Diwan of Al-Shanfara: compiled and edited by Emile Badi' Ya'qub, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1st edition, 1991.
- Abu al-Faraj al-Isfahani: Kitab al-Aghani, Research Office of Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Ihya al-Turath al-Arabi Edition, Beirut, Lebanon, 1st Edition.

المراجع العربيّة:

- Benkrrad (Said). Semiotics: Concepts and Applications, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, 3rd edition, 2012.
- Bouomrani (Mohammed Al-Saleh). Structure, Meaning, Ideology, Micro, Macro, and Superstructures in Gibran's Literature (A cognitive Approach), Khattab Magazine, Issue 20, 2015.
- Al-Halawani (Ameur). The cognitive Pattern and the cognitive Bet: Imaginative Metaphor in the Poetry of the Hudhayl Tribe as a Model, Al-Tasfir Al-Fanni Edition, Sfax, Tunisia, 1st edition, 2009.
- Hannoun (Moubarek). Lessons in Semiotics, Dar Toubkal, Morocco, 1st edition, 1987.
- Dadon (Roger). Desire and the Body, translated by Mohammed Islim, Alamat Magazine, Issue 4, 1995.

- Al-Zannad (Al-Azhar). Language and the Body, University Publishing Center, Tunis, 1st edition, 2017.
- Sola (Abdullah). Elaboration on the Linguistic Phenomenon, in the Symposium of the Department of Arabic, University of Sousse, Tunis, 2002.
- Atwan (Hassan). The Vagabond Poets in the Umayyad Era, Dar al-Maaref, Egypt, 1987.
- Alibi (Ridha Abdullah). Possible worlds in vagabond poetry: a cosmological approach, Ru'a Journal, Discourse Analysis Laboratory, Souk Ahras, Algeria, Algeria, Issue 9, 2019.
- Alibi (Ridha Abdullah). Alienation and Nostalgia in Arabic Poetry up to the End of the First Century AH, Dar Mayyara for Publishing and Distribution, Tunis, 1st edition, 2019.
- Grira (Tawfiq). The cognitive Poetics: Concepts and Applications to Ancient and Modern Poetic Texts, Faculty of Arts, Kairouan, Tunis, 1st edition, 2015.
- Moualla (Talal). body, Sindbad Publishing, Amman, 1st edition, 1999.

المعاجم:

- Al-Fayruzabadi: Al-Qamus Al-Muhit, Al-Risalah Foundation, Beirut, Lebanon, 5th edition, 1996.

الدوريّات:

- Encyclopédie de l'islam, Leiden Brill, tomı×, 1998.

المراجع الأجنبيّة:

- Baudrillard (Jean): The System of Objects, Gallimard, Paris, 1968.
- The Dictionary of Literature, Presses Universitaires de France.
- Merleau-Ponty (M): Phenomenology of Perception, Gallimard, 1945.
- Merleau-Ponty (M): The Structure of Behavior, Ed., P.U.F. 1949.
- Jackendoff (R): Foundation of language, Brain Meaning, grammar, Evolution, Oxford University, Press 2002.
- Sartre (J.P): Existentialism is a Humanism, Gallimard, Folio, Paris, 2010.